

أضواء البيان

@ 243 @ وفي الآية الكريمة أقوال غير هذا منها : أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم من العجب . ويروى عن ابن عباس ، ومنها : أنهم كانوا إذا قال لهم نبيهم أنا رسول الله إليكم أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم أن اسكت تكذيباً له ورداً لقوله . ويروى هذا عن أبي صالح ومنها : أن معنى الآية أنهم ردوا على الرسل قولهم وكذبوهم بأفواههم فالضمير الأول للرسل والثاني للكفار ، وعلى هذا القول ففي بمعنى الباء ويروى هذا القول عن مجاهد وقتادة ومحمد بن كعب قال ابن جرير وتوجيهه أن في هنا بمعنى الباء قال وقد سمع من العرب أدخلك الله بالجنة يعنون في الجنة وقال الشاعر : % (وأرغب فيها عن لقيط ورهطه % ولكنني عن سنبس لست أرغب) % .

يريد وأرغب بها : قال ابن كثير : ويؤيد هذا القول تفسير ذلك بتمام الكلام وهو قوله تعالى : { وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا آتَيْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَآتَيْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ شَكًّا مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبًا } . . .

قال مقيده عفا الله عنه : الظاهر عندي خلاف ما استظهره ابن كثير رحمه الله تعالى ، لأن العطف بالواو يقتضي مغايرة ما بعده لما قبله ، فيدل على أن المراد بقوله : { فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ } الآية غير التصريح بالتكذيب بالأفواه والعلم عند الله تعالى . وقيل : المعنى أن الكفار جعلوا أيديهم في أفواه الرسل رداً لقولهم وعليه . فالضمير الأول للكفار والثاني للرسل ، ويروى هذا عن الحسن وقيل جعل الكفار أيدي الرسل على أفواه الرسل ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم ويروى هذا عن مقاتل وقيل رد الرسل أيدي الكفار في أفواههم وقيل غير ذلك فقد رأيت الأقوال وما يشهد له القرآن منها والعلم عند الله تعالى .

تنبيه .

جمع الفم مكسراً على أفواه يدل على أن أصله فوه فحذفت الفاء والواو وعوضت عنهما الميم . قوله تعالى : { إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا آتَيْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَآتَيْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ شَكًّا مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبًا } . صرح تعالى في هذه الآية الكريمة أن الكفار صرحوا للرسل بأنهم كافرون بهم وأنهم شاكون فيما جاؤوهم به من الوحي وقد نص تعالى على بعضهم بالتعيين أنهم صرحوا بالكفر به وأنهم شاكون فيما يدعوههم إليه كقول قوم صالح له . { أَتَنْهَوْنَنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبًا } وصرحوا بالكفر به في قوله : { قَالَ

الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ
ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَالِحاً مَّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِمْ قَالُوا
إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالِ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا
بِالَّذِينَ ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ { ونحو ذلك من الآيات وقد قدمنا في ترجمة هذا
الكتاب المبارك أن من أنواع البيان التي تضمنها أن يذكر عموم في آية ثم يصرح في آية
أخرى بدخول بعض أفراد ذلك العموم فيه كما هنا وكما